مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 510-537
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

حركة الجدل الاسلامي في اسبانيا الكاثوليكية خلال القرنين 16-17م

The religious Islamic arguing in Catholic Spain during the 16th and 17th century

دوبالي خديجة ♦

جامعة ابن خلدون - تيارت doubali_histoire@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/06/27 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

عرفت الإنسانية جمعاء منذ القدم محاورات ومناظرات في أمور عديدة، وعلى مستويات متنوعة ومتعددة. فمن الطبيعي أن يجد الإنسان من يخالفه الرأي، في مسألة من المسائل، ومن يوافقه في ما ذهب إليه من رأي، صوابا كان أم خطأ، وكذلك كان الحال في الأندلس التي عرفت توافقا واندماجا بين حضارتين مختلفتين باستناد حكامها وعلمائها وعامة شعبها على التسامح الديني، وباعتمادهم أيضا على قدراتهم الهائلة في الإبداع وميلهم المتميز إلى التجريب والاختبار، فقد شهدت المنطقة أهم اندماج عرقي بين الشرق والغرب. وبهذا حققت المنطقة خلال حقبة زمنية طويلة جوا من التعايش والاحتكاك بين مختلف شرائح المجتمع الأندلسي.

ولكن هذا الوضع لم يستمر كما كان عليه الحال بعد سقوطها في يد الاسبان الكاثوليك، إذ حاول هؤلاء بكل السبل والوسائل القضاء على كل ما كان يرمز للإسلام، ولكن الجماعة المسلمة هناك لم تبق مكتوفة الأيدي بل قاومت بوسائل وأساليب شتى من بينها الجدل الديني. فقد اتخذت ظاهرة الجدل الديني في اسبانيا النصرانية خلال القرنيين 10-11 هـ/ 16-17م أشكالا مختلفة وعلى مستوى شتى الأصعدة، فمنه ما كان على شكل جدل عملي يومي، ومنه ما كان على شكل جدل علمي قائم على حجج وأدلة دامغة. وقد ترجم هذا الأخير على ذلك الصراع الفكري بين أتباع ديانتين مختلفتين كل واحدة تحاول اثبات مشروعية رسالتها.

الكلمات المفتاحية: الجدل؛ الدين؛ اسبانيا؛ الاسلام؛ النصرانية الكاثوليكية؛

Abstract: The country of Andalusia has known a great harmony between two different civilizations, based on religious tolerance. It has known the most important ethnic integration between East and

♦ دوبالي خديجة

West. Thus, for a long time, all this created an atmosphere of coexistence and friction between the different segments of Andalusian society.

However, after the fall of the last Muslim state in Granada in 1492 the situation changed as the Spaniards tried in using various ways and means to eliminate everything that symbolized Islam. The muslim community has resisted through various means and methods, including religious arguings. The phenomenon of religious controversy in Christian Spain during the 16-17 centuries has taken different forms and at various levels, some in the form of daily practical debate, and others in the form of debate. Science based on compelling arguments and evidence. The latter resulted in this intellectual conflict between the followers of two different religions, each trying to prove the legitimacy of its message.

Keywords
Controversy; Religion; Spain; Islam; Christian Catholicism;

مقدمة:

يعتبر التواصل بين المجتمعات والأمم أمرا ضروريا على تنوع عقائدهم، وتعدد أفكارهم، أوتقارب قيمهم أو تباعدها، وهذا نتيجة للتنوع في اللغة والثقافة والمقاصد، وهذا التنوع آية ربانية حيث أن الناس خلقوا من أصل واحد، ومع ذلك توزعوا وأصبح الاختلاف سنة كونية، وذلك مصداقا لقوله تعالى في سورة هود، الآية رقم: 118{**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**}. فالعيش الكريم الذي يؤمن سعادة الإنسان المستخلف في الأرض يحتاج إلى مواقع للقاء وفق قواعد وضوابط، ولا يمكن حدوث ذلك إلا بأساليب التواصل أبرزها: الحوار والجدل والمناظرة، ذلك أن العلاقات التي تقوم على هذا الاختلاف حقيقة وواقع وهو غير الخلاف، فالخلاف ينم عن الخصام والتنازع، بينما الاختلاف يدل على الإقرار بالتنوع، وبوجود الآخر ليكون بعد ذلك التواصل معه من خلال الحوار أو المناظرة أو الجدل.

إذن يعتبر الجدل الديني بين معتنقي الديانات سمة من سمات "حوار الحضارات" وصفة من صفات الرقي المعرفي وقبول الآخر، ذلك أن لا شيء حقا يفرق الأمم شيعا وفرقا متنافرة مثل المعتقدات، لهذا يظل الحوار الديني هو المفتاح الحقيقي، لمعظم المشكلات التي عرفها وعانى منها كل معتنقي الديانات في حياتهم، ومن بينهم المجتمع الأندلسي الذي اختار لغة الحوار أو ما يعرف حاليا بـ"حوار الأديان" كطريق للتعايش السلمي، ومن ثم الدعوة الدينية، التي قامت على الإقناع والاقتناع.

فقد شهدت الأندلس حركة جـدل ديني واسعة وراقية بين الديـانات السماوية الثلاث (الإسـلام- اليهودية - النصرانية) في القرون الثلاثة الهجرية 4-5-6/ 10-11-12م، حركته جماعة من العلماء المسلمين، ومثلهم من رهبان النصارى وأحبار اليهود. والحق يقال أن تلك المجادلات أنتجت علما غزيرا اتخذ له فيما بعد مسمى " علم مقارنة الأديان" وهو علم لا يزال يلقى قبولا في أوساط الدوائر الأكاديمية المعاصرة، وإن كان للأندلس الإسلامية أن تفخر بأشياء فلا شك أن الحوار الحضاري الذي تم على أرضها بين مختلف الملل والنحل يأتي في مقدمة ما تفخر به.

لكن بعد سقوط الأندلس سنة 1492م تغيرت الأمور جذريا وعلى كل المستويات، ذلك أن النصارى المنتصرين لم يكونوا بمستوى التسامح الذي كان عليه المسلمون حكام، وعلماء وعامة المجتمع. فأمام التعصب الديني الذي سيطر على الحكام الاسبان ورجال الكنيسة وحتى جزء كبير من "المجتمع المدني" بدأت بوادر الصراع بين معتنقي الديانتين (النصرانية والإسلام) تظهر وتتصاعد، على أساس أن المهمة الأساسية كانت تقتضي توحيد اسبانيا دينيا بعدما توحدت سياسيا.

أمام هذه المستجدات الخطيرة لم يكن أمام المسلمين سوى التشبث بكل مقومات هويتهم الإسلامية بشتى الوسائل والسبل، فكان الجدل الديني من بين السبل التي اتخذها هؤلاء المغلوبين على أمرهم في سبيل الدفاع على دينهم، ولكنه سيأخذ أشكالا وأساليب تختلف جذريا على ما كانت عليه قبل سقوط الأندلس، ذلك أن الكثير من المعطيات السياسية والدينية والاجتماعية كان لها دورها في تغيير موازين القوى.

انطلاقا مما ذكر أعلاه فإن موضوع بحثنا سيرتكز حول التعريف بحركة الجدل الديني التي سادت اسبانيا خلال القرنيين 10-11هـ/ 16-17م وابراز الآليات والاستراتيجيات التي تبنها العامة عموما والفقهاء وأهل العلم على وجه الخصوص في مواجهة المخطط الاستئصالي الصليبي، مبني على محاولة تقييم المسار التاريخي له في أبعاده السياسية والدينية، بوصفه تاريخ مواجهة بين انتماءين حضاريين مختلفين، في روحه العامة، وتاريخ تثاقفهما في بعض لحظاته وتفصيلاته.

إن الهدف من هذا التتبع التعريف بخصائص ومميزات حركة الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في اسبانيا، وابراز تحولاته واختلافاته. وبهذا فإن هدفنا الأول من إخراج هذا الإنتاج العلمي هو التعريف بالنضال المتواصل للجماعة المسلمة في اسبانيا وعلى رأسها الفقهاء ضد الأساليب التي استخدمها الساسة ورجال الدين الاسبان بهذف مسخ مقومات شخصيتهم الاسلامية والعربية، وتوضيح جدورها المتأصلة في الهوية الإسلامية، وتسليط الضوء على القوى الدافعة لانبعاثها؛ والتعريف بمختلف الاجتهادات والابداعات التي أنتجتها.

إن كل بحث يحاول من خلاله الباحث التأسيس لفكرة ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها، فكان لابد له أيضا أن ينطلق من اشكالية تكون الأساس للبحث بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا على إشكالية عامة كانت المحور الأساس لموضوع الدراسة تمثلت فيما يلي: ما هو الدور الذي قام به الفقهاء في الدفاع عن الإسلام وإثبات صحة عقائده ونقد عقائد مخالفيه من خلال حركة الجدل الديني ؟

وتفرعت على هذه الاشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية لعل من أهمها نذكر: ماهو مفهوم الجدل لغة واصطلاحا؟ وماهي بداياته في الأندلس؟ وماهي المسائل التي كانت محل جدل الفقهاء وما قابلهم من النصارى الكاثوليك في الأندلس قبل وبعد السقوط؟ وهل استطاع الأدب الألخميادو أن يقدم لنا نماذج من قضايا جدلية وقعت بين المسلمين والنصارى؟ وللاجابة على الاشكالية المطروحة أعلاه وما تفرع عنها من أسئلة اتبعنا المنهج التاريخي الذي يعتمد على تحليل وتفسير الأحداث الماضية، وتوضيح مدى تأثيرها على مجرى التاريخ.

1)- حركة الجدل الديني في الاندلس قبل السقوط: من نتائج التعايش السلمي والدائم بين معتنقي الأديان في أرض الإسلام عامة، وفي الأندلس على وجه خصوص أن المناظرات كانت وافرة جدا بين المسلمين من جهة، والنصارى واليهود على حد سواء من جهة ثانية؛ وقد طالت هذه المناظرات المجال العقدي بشكل خاص. وظلت مساحة هذه المجادلات تتسع من قرن إلى قرن؛ مع ازدهار الحضارة الإسلامية من جانب، وخوف الأقليات النصرانية واليهودية على خصوصيتها مع انتشار الإسلام من جانب آخر.

1-1)- **مفهوم الجدل لغة واصطلاحا:** شرح ابن منظور مصطلح الجدل بأنه "مقابلة الحجة بالحجة"، والمجادلة هي "المناظرة والمخاصمة، والجدل هو إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الاستشارة والدلالة[1]. كما ورد شرح مصطلح الجدل في الموسوعة الفقهية بأنه "المخاصمة الكلامية دفاعا عن الرأي طلبا للغلبة، وإذا خلا من المخاصمة والانتصار للرأي، حقا كان أو باطلا، فهو: الحوار"[2]. هذه المعاني تبين بأن الجدل ينطلق من أسس راسخة يؤمن بها من يحملها، ويلتزم بها بثبات دونما ميل إلى التنازل أو التراجع عن أي شيء فيها.

1ابن مكرم أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، مادة للجدل، ط: 2، دار الصادر، بيروت، 1384هـ/1992م، ص، 596-571.

2محمد رواس قلعه، الموسوعة الفقهية الميسرة، م:1، ط:1، دار النفائس، بيروت، 1421هـ/ 2000م، ص ص، 626، 627.

انطلاقا مما ذكر أعلاه فالجدل بهذه الصورة يشير إلى تمسك طرف أو شخص بموقف معين، والمعاندة فيه وعدم الاستعداد للتراجع أو التنازل، "ولذلك يقال: الجدل؛ شدة الخصومة. أو تجادلا: تخاصما. فالمجادلة تؤشر دوما إلى المخاصمة والتناقض في الرأي، بحيث يكون الهدف إلزام الخصم بما عليه المجادل"[3].

وبهذا يعتبر موضوع الجدل من بين أهم الموضوعات الإسلامية أصالة، وذلك لاهتمام القرآن الكريم به في مجموعة من آياته؛ سواء تلك التي دعت إليه وإلى التزام آدابه، أو تلك التي تذم بعض أنواعه نظرا لعدم التزام أصحابها بأخلاقيات الجدل وآدابه. وقد ورد مصطلح الجدل في القرآن الكريم في مواقع كثيرة من الآيات، ولمناسبات مختلفة، وما يبرز أهمية هذا المصطلح أن يكون اسما لسورة " المجادلة". ومن بين السور الكثيرة التي ذكر فيها الله سبحانه وتعالى مصطلح الجدل نذكر سورة النحل[4] التي ورد فيها قوله عز وجل: **{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**[5].

كما ورد ذكر هذا المصطلح فيما يخدم مباشرة هذا البحث في سورة العنكبوت[6] في قوله عز وجل:{ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** }[7]. فعلى صعيد الدعوة الإسلامية، يعتبر الجدل هو الخيار الملزم لحامل الدعوة، ذلك أن الإسلام دعوة إلى الدين الحق، لذلك كان الجدل ضرورة؛ فتاريخ المناظرات الإسلامية لأهل الكتاب قديم في التاريخ بدأت منذ أن كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يجادلون اليهود والنصارى في الأمور العقيدية والتشريعية، فطبيعي أن تنتشر مثل هذه المناظرات في الأندلس لتوفر المناخ الملائم لذلك، نظرا للاحتكاك المباشر الذي كان بين المسلمين وأهل الكتاب.

3أسعد السحمراني، الإسلام والآخر، ط:1، دار النفائس، بيروت، 1426هـ/ 2005م، ص، 18.

4 أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة، ومن يحتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بحسن خطاب. ينظر: ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مج:2، د ط، منشورات محمد بن علي بيضون، بيروت، 1421هـ/2000م، ص: 613.

5 سورة النحل، الآية رقم: 125.

6 ورد شرح هذه الآية بأن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالدعوة الحسنة إلى دين الإسلام، ولكن من حاد عن وجه الحق وعمي عن واضح المحجة، وعاند وكابر، فحينئذ ينتقلون من الجدال إلى القتال. فالمجادل المحق الذي يمتلك الحجة يواجه خصومه من دعاة الباطل استنادا إلى بيان وبرهان ليعجزهم. ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، مج:3، ص: 418.

7 سورة العنكبوت، الآية رقم: 46.

أما الحكم الشرعي للجدل فيكون على حسب الهدف المؤسس له؛ فالجدل الذي المقصد منه إظهار الحق فهو واجب[8]. وإن كان في الباطل أو للدفاع عنه وإخفاء نور الحقيقة فهو محرم، مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله: **{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}**[9]. وإن كان لإظهار الغلبة والتفوق على الخصم فهو مكروه ولو كان الجدل في الحق.

1-2)- بدايات الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس: نشطت مند القرن 6هـ/12م، المجادلات الدينية من الجانب النصراني، وأخذت المناظرات شكلا مميزا، فتخصص رجال الدين النصارى في الدراسات العربية والإسلامية. على هذا الأساس تمكن الرهبان النصارى من تأسيس حلقات العلم لإعداد جيل من رجال الدين يستطيعون مقارعة حجج المسلمين[10]. وكان من ثمرة تلك الجهود العلمية أن قصد الأندلس أحد علماء تلك الحلقات، طرس "Potros "، من أجل التزود من العلوم العربية والإسلامية، وعندما رجع إلى ديره، أخذ يصنف المؤلفات الجدلية للرد على العلماء المسلمين.

إذن يمكن القول أن الجو السياسي والديني والعلمي الذي ساد الأندلس كان مواتيا لانطلاق أكبر تحاور حضاري عرفته أوروبا في تاريخها القديم والوسيط، والفضل في

ذلك يعود للسلطة الإسلامية التي رسخت قولا وعملا منهج التحاور العلمي وأشاعت جوا من الحرية الفكرية تمتع بها الكل. فقد تعامل المسلمون مع نصارى الأندلس بتسامح كبير، مما أعطى لرجال الدين النصارى حرية دينية، بحيث سمح للأساقفة بعقد مؤتمراتهم الدينية في مختلف المدن الأندلسية، مثال ذلك نذكر المؤتمر الديني الذي عقد

8 محمد رواس قلعه، المرجع السابق، ص: 627.

9 سورة غافر، الآية رقم: 5.

10لم يعرف علماء الأندلس المسلمين الجدل والمناظرات في العقود الأولى لدخول المسلمين شبة الجزيرة الإيبرية وذلك راجع لتفرغهم لمهمة توطيد السلطة الإسلامية، وأيضا لعدم اتساع معرفة الاسبان باللغة العربية معرفة تخولهم الاطلاع على الفكر الإسلامي. أما بعد استقرار المسلمين، وانتشار اللغة العربية بين المستعربين والمسلمين الجدد شهدت الأندلس انصرافا قويا من الشباب إلى الثقافة الإسلامية واللغة العربية. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: المقري بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

في قرطبة "Cordoba"[11] عام 1077هـ/582م، ومؤتمر إشبيلية "Sevilla"[12] عام1467 هـ /872م. كما سمحت السلطات الإسلامية للنصارى بتشييد العديد من الكنائس، كما اتخذ بعض فقهاء المسلمين في الأندلس من النصارى مساعدين لقضاء حوائجهم. بل أنه وصل بعض النصارى إلى مناصب عالية، مثل ما فعل المقتدر بن هود (ت474هـ) ملك سرقسطة "Zaragosa "[13] لما فقد استوزر أبا عامر بن غند شلب[14]. كما حدا حدوه محمد بن عبد الرحمن الأوسط (ت 273هـ) الذي صار كبير الكتاب عنده قومس ابن أنتنيان النصراني[15].

نظرا لكل هذه المعطيات انتشرت عملية التبشير في كبريات المدن الأندلسية، وأمام هذا الوضع الخطير لم يكن أمام علماء وفقهاء الأندلس سوى التصدي لهذه الظاهرة، التي إن تركت على حالها فسوف تشكل خطرا يتربص بالإسلام والمسلمين في الأندلس. لهذا دخل علماء المسلمين في الأندلس في تحاور حضاري رفيع المستوى، لا من حيث الأسلوب فقط، ولكن من حيث المنهج والمعاني والموضوعات المطروقة التي غطت ميادين دينية وفلسفية عديدة.

لهذه الأسباب مجتمعة انطلق المتحاورون من كل الطوائف الدينية لتحقيق أهداف معلومة للكل. وينبغي الاعتراف أن الإسلام كعقيدة وشريعة وتطبيق هيأ الأرضية المناسبة لمثل ذلك التحاور الحضاري. فكما هو معروف لم يطلب الإسلام من الاسبان الذين دخلوا فيه إلا التلفظ بالشهادتين لقاء تمتعهم بكامل الأهلية الإسلامية، وترك للذين

---

11 - **قرطبة**: بلسان القوط "طاسعوط" وهي عندهم تعني القلوب المختلفة، وقال آخرون قرطبة "كوربا عاقل اسكنها" وتفسيره "أجري يا عاقل واسكنها". ينظر: ابن الدلائي احمد بن عمر بن انس العذري، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهوائي، د ط، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د س ط، ص، 121. وتقع قرطبة، على سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس. ينظر: ابن عبد الله بن إدريس أبو عبد الله محمد الحمودي الإدريسي، القارة الإفريقية مقتيس من كتاب نزهة المشتاق، تح: اسماعيل العربي، د ط، الديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص، 302، 303.

12 **اشبلية**: مدينة كبيرة وعامرة، ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة تقع على نهر الوادي الكبير. أصبحت بعد الفتنة عاصمة لمملكة بني عباد، ولم تفقد أهميتها في عصر الموحدين إلى أن استولى عليها النصارى سنة 646هـ/ 1248م. ينظر: المصدر نفسه، ص، 264.

13 **سرقسطة**: مدينة كبيرة في شمال شرقي الأندلس عن الضفة اليمنى من نهر ايرة (Ebra). ينظر: سالم عبد العزيز، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، د ط، د د ن، بيروت، 1962م، ص، 83.

14 محمد بن عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط : 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م- ص، 412.

15 أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني، قضاة قرطبة، د ط، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م، ص: 76.

اختاروا البقاء على ديانتهم السابقة حرية الدين والمعتقد، ولم يتعرض المسلمون لسواد النصارى فضلا على ساداتهم[16].

1-3)-جهود علماء الأندلس في حقل الجدل الديني مع نصارى الأندلس: لعب الفقهاء دورا بارزا في حقل الجدل الديني، ولم تخل قضية، إلا وهم فيها قائمون، وعليها ولغيرها متابعون، ولعل هذا كان من العوامل المهمة في الحفاظ على مقومات الشخصية الاسلامية في الأندلس، إذ يعتبرون حفظته ومناراته وسفاراته، رغم كل المؤامرات التي لم يخل منها زمان أو مكان، خلال التاريخ الإسلامي كله.

ومن أبرز من تصدى لحركة التنصير بأسلوب المجادلات والمناظرات الدينية نذكر الإمام أبي محمد على بن سيعد ابن حزم الظاهري (ت 456هـ)، والشيخ أبي جعفر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 582هـ)؛ فقد كانت لهم اسهامات كثيرة في الجانب الفكري والجدلي، إذ ناقشوا قضايا عقيدية وتشريعية في الدين النصراني محاولين البرهنة على فسادها. ومن بين النماذج التي ورد ذكرها أيضا في مجموعة المصادر والمراجع، والتي عنت بموضوع الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس نذكر الكتاب الذي ألفه "محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري القرطبي" المتوفى في الثلث الأخير من القرن 7هـ/ 13م، والموسوم بـ " كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام واثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"[17].

من خلال عنوان المخطوط يتضح الموقف الصريح الذي تبناه المؤلف اتجاه

النصرانية، ودفاعه على الإسلام ونبي الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. فقد تناول صاحب المخطوط في مؤلفه هذا قضية "تثليث الوحدانية"، والعقيدة النصرانية الباطلة. وبهذا يمكن إدماج هذا الإنتاج الفكري ضمن قائمة الأعمال التي أنتجت في المجال الجدلي الذي كان دائرا بين المسلمين والنصارى.

16 لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج:1، تح: محمد عبد الله عنان، د ط، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1393هـ/1973م، ص، 131.

17المخطوط محفوظ في مكتبة كوبو ولو في اسطنبول تحت رقم تسلسلي: 794. كما يوجد له نسخة أخرى في المكتبة التابعة لمدرسة الدراسات العربية محفوظة في صندوق تحت رقم تسلسلي: 91.

هناك مؤلف آخر يمثل حلقة في سلسلة الجدل الديني بين الإسلام والنصرانية وهو موجود في شكل مخطوط وموسوم بـ " مقامع الصلبان"[18]، لمؤلفه أحمد بن عبد الصمد بن عبيدة بن محمد بن أحمد بن محمود بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الحق الخزرجي المكني بـ "أبي جعفر القرطبي"[19]، هذا الأخير انتقل إلى الإقامة في بجاية بعد أن عاش في غرناطة"Granada"[20]؛ وتعلم الحديث على يد كبار الفقهاء نذكر منهم أبي عبد الله بن مكي، وأبي جعفر البطراوي، وعبد الرحمان الحجاري، وأبي بكر بن العربي، وشريح بن محمد، وآخرين. من أهم ما ألف في موضوع الجدل الديني نذكر "آفاق الشموس وعلائق النفوس" والمؤلف المذكور أعلاه[21].

من خلال تتبع مسيرة الخزرجي في حقل الجدل الديني نجده يركز على نقد عقيدة الألوهية لدى أهل الكتاب، وعقيدة صلب المسيح عليه السلام، وكذلك نقد الأناجيل المعتمدة لدى النصارى في زمنه، كما ألف الخزرجي كتابه العظيم الموسوم بـ "مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان" وهو كتاب تم تحقيقه مرتين، كما ألف كتابا أخر لا يزال مخطوطا عنوانه: "مقام المدرك في إفحام المشرك". وللخزرجي تجربة فريدة من نوعها فقد تم أسره من قبل النصارى، وفي مقامه ذاك تمت محاولات عديدة لتحويله من الإسلام إلى النصرانية. ولكنه قاوم بشجاعة العالم، ورد وفند ما أثير حول الإسلام من قبل آسريه[22].

---

18 فيرناندو دى لاغرانجا، معجزات اسبانية في مؤلف جدلي إسلامي، بحث نشر في مؤلف جماعي موسوم بـ: دراسات أندلسية وموريسكية، تر وتق: جمال عبد الرحمن، ط:1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م، ص، 61.

19 **أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الحق الخزرجي**: ينتمي نسبه إلى سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. نشأ أحمد بن عبد الصمد نشأة علمية. تميز عصره باشتداد الحروب بين المسلمين والنصارى في الأندلس فكان لا يكاد يمر عام، الا ويشتبك الجانبان في حروب ومناسبات وكانت قرطبة التي نشأ بها الخزرجي من بين أهم المدن الأندلسية التي عانت من ويلات الحروب. ينظر: المرجع نفسه، ص:64.

20 **غرناطة:** معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال مائلا على باب قصبة الحمراء، في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية، ط:2، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، د ب ن، 1311هـ/1921م، ص، 160.

21 فيرناندو دى لاغرانجا، المرجع السابق، ص، 64.

22 فيرناندو دى لاغرانجا، المرجع نفسه، ص:66.

ومن بين النماذج التي عالج من خلالها الخزرجي أهم العناصر التي كانت موضع جدل بين المسلمين والنصارى نذكر هذا النص المستنبط من مخطوطه الذي ناقش من خلال تأليفه هذا بعض المعجزات النصرانية التي حدثت في اسبانيا، ويسخر منها ويعيب على النصارى غباءهم. كما حاول الوصول من خلال عمله هذا إلى أصل هذه المعجزات المشار إليها كوسيلة للتعرف على طرق الاتصال بين المسلمين والنصارى الاسبان أي دون الدخول في صميم الجدل الديني.

فالرسالة التي بعث بها قسيس طليطلة "tolito" [23] إلى الخزرجي بهدف تنصيره كانت بمثابة دليل يسير عليه كتابه، فهو يواصل الرد نقطة نقطة على ادعاءات القسيس فيقول في إحدى فقرات المخطوط: "...**ليتك قرأت كتبنا كلها وعلمت العجائب التي حدثت على يد القديسين قاموا بمعجزات وبراهين ومع ذلك فهم لا يظهرونها إلا في حالة الضرورة ولو أنك رأيت بنفسك النور الذي يظهر كل عام في ليلة عيدنا الكبير لا رأيت العجائب والغرائب...**" [24]

ويتباهى الخزرجي في نهاية كتابه بأنه على علم بكتب النصارى واليهود التي قرأها وذكر منها فقرات على مدى كتابه، ويجيب على إشارة القسيس قائلا:" **...فيما يتعلق بما تقوله من أن دينكم فيه صلحاء يظهرون المعجزات على الضرورة...**" بأن هذا كذب وافتراء، ويضيف في السياق نفسه أنه على علم بخدع النصارى فكتب بهذا الصدد يقول:" **...فمنها ما وصف لي عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم أن يد الله تخرج لكم منها في يوم واحد من السنة من وراء ستر ولا خفاء لديكم بهذا فحكى لي من أثق في قريحته أن رجلا من اليهود كان قد حظي عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة كانت بينهما فدعاه الرئيس له فكان قد رامه يوما عند الخروج عن الدين اليهودي إلى دينه وقال له : ألا ترى هذه الأعجوبة كظهور يد الله لنا في يوم معلوم من السنة ؟ فقال له اليهودي يا مولاي أنا قد رضيت هذا الأمر بشهادتك وصدقك عليه فابحث عنه فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقا صبأت إلى دينك فخالط الرئيس الشك فلما دنا ذلك اليوم الذي تظهر فيه اليد سافر بحملة نحو الشمال وقرب مالا يهديه هناك فبدر إليه الأساقفة وقربوه لتقبيل اليد لما ظهرت اليد له من وراء الستر وضع يده فيها فصاحوا به يقولون: اتق الله**

---

23 **طليطلة: "مدينة أولية من بنيان الأول، عظيمة الغور، جليلة الوضع، منيعة وحصينة"**، كثيرة المياه والثمار؛ كانت قصبة بلاد الأندلس وقاعدتها العظمى. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، مخطوط رقم: 1528- ورقة رقم، 57.

24المرجع السابق، ص، 66.

الآن تخسف بك الأرض الآن تقع عليك السماء، الآن ترسل السواعق فقال: دعوا عنكم هذا كله فإن هذه اليد لا أحل يدي عنها حتى أعلم أحقا ما تصنعون فيها أم باطلا فلما رأوو الحجة لم يبق منهم إلا اثنان أسرا إليه القول وقالا: ما تبغي في ذلك؟ أصبأت عن دين آبائك؟ قال: لا. قال أ تريد أن تحل ربطا ربط مند ألاف سنة أو نحوها؟ قال: لا وما عاد الله ولكني أريد أن أقف على سر هذه اليد قال: هي يد الله فوقف دون هذا الستر. قال: أيحب أن أراه. قال: أنت وذلك فكشفوا له عن قس مجود الخدين موقوف وراء الستر فلما عاين الرئيس أرسل يده وخرج إلى عسكره فقال له اليهودي: مولاي ما ترى في ديني؟ قال له: رأيك خرجت منه. ففهم اليهودي وسكت..." [25]

علينا أن نقر بأن جو القصة مرسوم بشكل جيد وأنها تعكس بشكل ما إحدى الأساطير الدينية في اسبانيا النصرانية، هذه الأمور المفتعلة من طرف النصارى التي تتكرر كل عام في يوم محدد كان يشاع عنها أنها المعجزة المفترضة.

من خلال عرضنا لهذه النماذج من الجدل الديني الذي كان دئرا بين الإسلام والنصرانية في الأندلس نلاحظ أنه ارتكز على إظهار الزيف والتحريف الذي أدخله النصارى على الدين السماوي الذي أرسل به سيدنا عيسى عليه السلام. وبهذا حاول علماء الإسلام في الأندلس الدفاع على الإسلام بطريقتهم الخاصة، معتبرين ذلك نوع من الجهاد الذي سوف يؤجرون عليه. كما نلاحظ الفرق الشاسع بين موقف النصارى من المسلمين بعد انتصار هؤلاء في معركتهم السياسية والعسكرية، وموقف المسلمين حكاما وعلماء عندما كانوا هم السادة على أرض الأندلس. وبهذا فقد بين الجدل الديني الدائر آنذاك مقدار احترام الإسلام والمسلمين للرأي الأخر. وهذا الملمح يعد بحق رافدا من روافد الحضارة الإسلامية التي عرفت التعددية في العقائد والمذاهب والأفكار والرؤى، وكما هو معروف في الإسلام فإن الاختلاف سنة من سنن الله في الكون.

2)- الجدل الديني بعد سقوط غرناطة من خلال بعض مؤلفات مسلمي اسبانيا: من بين الحقائق التاريخية المتعارف عليها أن سنة **897هـ/1492م** كان تاريخ سقوط غرناطة في يد الإسبان[26]، وبهذا التاريخ تبدأ مأساة المسلمين بضياعهم للأندلس بعد ثمانية قرون من العطاء الحضاري، مازالت بصماته واضحة في التاريخ الإنساني، لكن لابد من الوقوف عند بعض الأمور لنبين بأن هذا التاريخ يمثل سقوط آخر معقل-غرناطة،

25 فيرناندو دى لاغرانجا، المرجع السابق، ص، 75.

26 للاطلاع على تفاصيل أكثر حول سقوط المدن الأندلسية ينظر: مجهول، رثاء احتلال المسيحيين، المصدر السابق.

وليس نهاية للدين الإسلامي الذي ظل معتنقوه يقاومون بشتى الطرق والوسائل من أجل المحافظة على مقوماته وشرائعه، وذلك منذ أول يوم من تسليم غرناطة للاسبان.

2-1)- الصراع الديني بين الاسلام والنصرانية الكاثوليكية بعد سقوط الأندلس:

بدأت رحلة المأساة تشق طريقها أمام المسلمين، أو كما أصطلح على تسميتهم في حقل الدراسات التاريخية والأدبية بـ "الموريسكيين"[27] "Moresque" باللغة الفرنسية و"Moriscos" بالإسبانية[28] فقد تعاون السيف والقلم معا في محاولة إرهابية لتنصير هذه الفئة المغلوبة على أمرها، وقد قامت محاكم التفتيش[29] أو الشيطان كما وصفها المسلمون في كتاباتهم بأبشع صور الاضطهاد الديني للقضاء على أي رمز من رموز الدين الإسلامي في

27 هناك اجماع على أن مصطلح "موريسكي" أطلقه الاسبان على المسلمين بعد صدور المراسيم بعدما كانوا ينعثونهم بأسماء كثيرة منها "العرب المغاربة" أو الأفارقة " moro " أو المهجرين hagarans أو المحمديين Muhammadins ". وظلت هذه التسميات سارية المفعول حتى نهاية الخمسينيات من القرن السادس عشر ميلادي، عندما ورد اسمهم في مراسيم ملكية على أنهم "الجماعة الموريسكية". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر كل من: عادل سعيد البشتاوي، الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)، د ط- مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة، 1403هـ/1983م.و: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، ط : 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م. من هذا المنطلق رمت السلطات الاسبانية من وراء اطلاق هذه التسمية على الجماعة المسلمة التي فضلت البقاء في أرض الوطن بعد السقوط فصلهم عن أجدادهم وحرمانهم من حقوقهم في بلادهم وإظهارهم بمظهر من لا هوية له. وعليه هل يحق لنا أن نسمي هؤلاء بـ "المورسكيين"؟ والجدير بالذكر في هذا السياق بأن وجهة النظر هذه تخصهم لوحدهم، ووفاء لذاكرة شهداء الأمة الأندلسية بحثنا كثيرا لإيجاد مصطلح قد يكون البديل عنه، فانتهى بنا المطاف إلى اعتماد عبارة "مسلمي اسبانيا".

28 طرحت بعض الإشكاليات المرتبطة بمفهوم "الموريسكي" من حيث كونه شخصية ثقافية وتاريخية، فقد عبرت عما يمكن أن نسميه بـ "الظاهرة الموركية" التي وجدت في مرحلة من مراحل تاريخ إسبانيا عن مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الإسبانية. فالمصطلح يفيد بذلك حسب حمولته في اللغة والوجدان الإسبانيين: ". كما يفيد كذلك معنى الإسبانيين، الذين رجعوا إلى نصرانيتهم بعدما تخلوا عن الإسلام قهرا - ظاهريا فقط -. على تفاصيل أكثر حول هذا مفهوم المصطلح ينظر: مرثيدس غارثيا أرينال، محاكم التفتيش والموريسكيون، تر: خالد عباس، تق: جمال عبد الرحمان، د ط، المجلس الأعلى الثقافي، د ب ن، 2004م.

29 لقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر، فهناك من اختصر نعثها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها " ديوان التحقيق". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (المرجع السابق)، ص، 19.

اسبانيا[30]. بالمقابل لم يبق مسلمو اسبانيا مكتوفي الأيدي، بل خاضوا معارك عديدة في محاولة منهم لانقاد هويتهم الإسلامية، فاستعملوا لذلك السلاح كلما سمحت لهم الظروف لإعلانها صرخة مدوية في وجه قوى الظلم والطغيان[31]، والقلم والممارسات الدينية عندما تستحيل أمامهم المعارك العسكرية.

في هذا السياق استعمل مسلمو اسبانيا الجدل الديني في معركتهم مع النصارى الكاثوليك، متخذين في ذلك كل أشكاله وصوره، على أنه يجب الإشارة إلى أن هذه العملية -الجدل الديني- أخذت أشكالا مختلفة نظرا للتفاوت الواضح والشاسع بين قوى الصراع، فالحوار لا يكون إلا بين طرفين متكافئين، وهذا ما لم يتوفر في طرفي المعادلة، فأحدهما - الجامعة المسلمة- كان يلزمه أولا ترتيب بيته من الداخل، ثم النظر في إمكانية الدخول في مثل هذه الحوارات الحضارية، في حين كان يزهو الطرف الآخر — النصارى الاسبان- بما حققه من إنجازات مادية مذهلة، وبالتالي فهو لا يرى نفسه مضطرا الى محاورة الآخرين. وعليه فإن الحوار ممتنع أصلا بين الطرفين المتصارعين.

فقد عاشت اسبانيا خلال الفترة قيد الدراسة صراعا[32] دينيا وفكريا، فالبحث حول اعتناق المسلمين للنصرانية الكاثوليكية ارتبط بمحيطهم الفكري وتصورهم أيضا للمحيط الفكري للمبشرين، إن هذا العقد يمثل الحد الأدنى من التفاهم الذي يربط بين طرفي قناة الاتصال لتبليغ المعرفة والتي يمكن إبرامه؛ ولهذا فإن فشل عملية التنصير لا يمكن أن تفاجئ المتتبع والدارس لهذا الملف[33]. فقد جدت مصطلحات جديدة في ساحة

---

30 للاطلاع على تفاصيل أكثر حول جرائم محاكم التفتيش ضد مسلمي اسبانيا ينظر : محمد علي قطب- مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس- ط:1- د ب ن- د د ن- ص: 83.

31 للاطلاع على تفاصيل حول المقاومة الإسلامية في اسبانيا ينظر:

Marmol Carvajal, Historia Rebellon y Castigo de los moriscos, Del rieno de de Crenada, Madrid, 1946, P :125.

32 تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحا فيما تقدمه من تعريفات لمفهومه، وفي نقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. فقد قدمت تعريفات كثيرة من طرف الباحثين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع ، على أن كل مجال فسره وفق المنظومة الخاصة به.فالصراع في مفهومه يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة. ينظر: منير محمود بدوى، مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، مركز دراسات المستقبل، مصر، جامعة أسيوط، ع:3، 1997م، ص، 38.

33 للاطلاع على تفاصل أكثر حول عمليات التنصير في اسبانيا خلال الفترة قيد الدراسة ينظر:

Henri Lapeyre- géographie de l’Espagne morisque, S.E.V.P.E.N, Paris, 1959, P, 120

العلاقات الاجتماعية مثل: "مسيحي جديد"، أو "موريسكي، هذا الأخير لم يستعمل قبل عام 901هـ /1500م[34] والذي رفضه بشكل قطعي من طرف مسلمي اسبانيا؛ حيث بدأ حينذاك التنصير الجماعي للمسلمين. لكن هذا لم يحدث إلا نتيجة نهائية لمرحلة طويلة تطور خلالها الوضع السياسي للأشخاص أنفسهم (المسلمين) من مسلم إلى مدجن[35]"mudejares"، ثم إلى "موريسكي".

وعلى الرغم من ذلك فتعتبر السنوات العشر التالية (901هـ و 911هـ/ 1500 و1510م) هي التي عرفت تغيرا جذريا في طريقة إدراك المشكل وتصوره؛ حيث ترجم ذلك في شكل مجموعة من الأوامر الملكية التي صدرت ابتداء من عام 912هـ/1511م[36]. فقد فشلت حملات التنصير فشلا ذريعا وثبت خطأ اعتقاد أن المسلمين غير القابلين للتنصير قد رحلوا، وأنه قد بقى فقط في اسبانيا إلا أولئك الذين مالوا إلى تقبل الكاثوليكية، وبهذا أدركت السلطات الاسبانية أن الإسلام إلى جانب أنه من المستحيل استئصاله، يبدو في الظاهر أنه أيضا يصعب معرفة مدى اخلاص "الموريسكيين" للكاثوليكية بعد تعميدهم قهرا، خاصة في ظل اعتمادهم لمبدأ التقية[37].

من ناحية أخرى كان أكثر مسلمي اسبانيا يعتقدون أنهم بمجرد تعميدهم سيتركون وشأنهم بسلام، لكن الإجراءات التي اتخذت في الفترة الممتدة ما بين 901 و902هـ/1500و1502م على يد الملكين الكاثوليكيين فرناندو "Fernando"[38] وايزابيلا

34 مرثيدس غارثيا أرينال، المرجع السابق، ص: 21.

35 **مدجن**: أطلقت هذه التسمية على كل المسلمين الذين عاشوا تحت حكم النصارى مند سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م إلى غاية سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م. ينظر: عبد الواحد دنون طه، أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس نموذج تطبيقي عن كتاب العبر، بحث نشر ضمن أعمال الندوة الدولية الموسومة بـ: حضارة الأندلس في الزمن والمكان، د ط، د د ن، الرباط، 1992م، ص، 138.

36 براتشينا دون باسكوال بورونا، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ، ج: 1، تر: كنزة الغالي، ط: 1، مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، د ب ن، 1433هـ/2012م، ص، 118.

37لعل الظاهرة التي استقطبت معظم الباحثين عند دراستهم لمظاهر الحياة اليومية لمسلمي إسبانيا هي أسلوبهم في الحفاظ على دينهم بإظهار النصرانية وإبطان الإسلام، فكانت التقية الوسيلة الفعالة أمام سياسة الاستئصال الديني والثقافي. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: بدرو لونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، تع: عبد الرحمان جمال، د ط، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق، زغوان، 1992م.

38 **فرناندو**: ولد عام 1421م. وأصبح ملكا على صقلية سنة 1468م، ثم ملكا على آراغون سنة 1479م، ينظر: Rodrigo De Zayas, Les moresques et le racisme d'état et la difference, Paris,

"Isabella" [39] أظهرت أنهم كانوا على خطأ كبير؛ فالخروج الجماعي لمسلمي اسبانيا ورحيلهم عن البلاد في تلك الفترة عبر عن خيبة الأمل التي عانوها[40]، وكذلك عن عمق جذور الثقافة الإسلامية والإيمان، كما عبر عن عدم إمكانية الجمع بين ثقافتين في شخصية واحدة.

2-2)- جهود الفقهاء في الرد على شبهات النصارى (الحجري أحمد بن قاسم انمودجا): لعب العلماء في التاريخ الإسلامي دور القيادة في رعاية الأمة وهدايتها، فكانوا بذلك الوراثة الأمينة لهذه الدعوى المباركة. فكانت مواقفهم – خلال الحياة الإسلامية، وفي الأندلس بالذات- معروفة. فكم ردوها إلى دينها وبعثوا فيها الهمة، فانطلقت من جديد ترفع الرايات وتحقق الانتصارات. لذلك كان العلماء هم الحصن الحصين والبناء الرصين لهذه الأمة، ويلتحق بهم من كان كذلك من الأمراء، وهو موفور في المجتمع الإسلامي خلال تاريخه وعبر كل عهوده وفي كل المواقع الإسلامية خلال أحداثه، لذلك من هنا رأينا مكانة العلماء في المجتمع المسلم الذين أدوا دورهم في رعايته وحمايته وقيادته، في كل الأحوال والعصور مهما اشتدت الأحداث، ومن هنا فإن النظر إليهم بهذه المكانة والاعتبار والمنظار يجعل مسؤوليتهم كبيرة، فما قد يكون مسموحا لغيرهم قد يكون مطلوبا منهم أو مفروضا عليهم، وهم قد عرفوا ذلك وارتضوه وقبلوه، بل أحبوه.

كذلك كان حال العلماء في الأندلس بعد سقوطها في يد النصارى الصليبيين، فالملاحظ أن مجمل المخطوطات التي تطرقت إلى موضوع الجدل الديني مع النصارى قليلة جدا بالمقارنة مع تلك التي جمعت الحكايات والسير والقرآن والنصوص الفقهية، وما إلى ذلك من المواضيع التي تطرق اليها مسلمو اسبانيا. وما يمكننا استنتاجه في هذا السياق أن معظم كتابات المسلمين الجدلية خلال هذه الفترة غلب عليها مظهران:

1992, P, 82.

بعدها أصبح ملكا على قشتالة سنة 1484م ثم ملكا على نابلي عام 1504م. توفي في 23 يناير من سنة 1516م :ينظر: عادل سعيد البشتاوي، المرجع السابق، ص، 123.

39 **ايزبيلا:** ولدت سنة 1451م، وتوفيت خلال سنة 1504م. ينظر:

Louis Cardaillac, L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne-1474_1497,Edition Aurement, collection Memoires, P, 23.

وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويعي محمود محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ / 1516م)، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، د س ط، ص ، 42.

40 للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر:

Bronat y Barrachina, Los moriscos Espagnoles y su expulsion, Valenci, 1901.

- ✓ الدفاع على الإسلام ضد افتراءات النصارى، والحفاظ على الهوية الإسلامية ضد موجات التنصير الموجهة ضد مسلمي إسبانيا.
- ✓ نقض العقائد الدينية النصرانية، وبيان أفضلية الإسلام على النصرانية.

ومن بين الأسماء التي لمعت في حقل الجدل الديني بين مسلمي اسبانيا والنصارى الكاثوليك نذكر الحجري أحمد بن قاسم[41] الذي أراد من كتابه الموسوم بـ "ناصر الدين على القوم الكافرين"[42]، أن يكون مجادلة للنصرانية والنصارى الكاثوليك[43]، ودفاعا عن الإسلام والمسلمين، ومنهجا في القيام بذلك وسبيلا من سبل إنجازه.

إن أول ما يستوقف الناظر في هذه الرحلة، أن مؤلفها قد وفق في محورتها حول الموضوع الرئيس الذي دعاه إلى تأليفها، على الرغم من تناوله فيها جملة من القضايا المختلفة، باختلاف موضوعاتها وأهدافها. لقد طلب منه عبد الرحمن الأهجوري المذكور، مثلما طلب منه عدد من العلماء المسلمين، أن يضع تأليفا يجمع فيه مساجلاته مع النصارى، ومجادلاته لهم في دينهم، ودفاعه عن الإسلام وانتصاره لهذا الدين. لذلك وجدناه يبدأ كتابه بذكر ما جاء في الرق والكتب الرصاصية عن النصرانية والإسلام[44]، وينهيه بالعودة إلى الموضوع نفسه.

---

41 **أحمد بن قاسم الحجري:** ولد حوالي سنة 980هـ/1570م في قرية أحجر (UGIJAR) إحدى قرى مملكة غرناطة، وإليها ينتسب؛ غادر اسبانيا سنة (1007هـ/1598م) قاصدا مراكش حيث عمل مترجما في بلاط أحمد المنصور الذهبي، ثم على عهد ولده مولاي زيدان. عرف بجداله لعلماء اليهود والنصارى. خلال عودته من الحج استقر في تونس فكانت له صلة بأميرها العثماني الداي مراد؛ كما تعرف هناك على أحد مسلمي اسبانيا وهو الريس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي (أواسط ق 11هـ/أواسط ق 17م) الشهير بالرباش من نولش من قرى غرناطة، ألف كتابا عن الجهاد بالمدافع فترجمه الشهاب إلى العربية. ينظر: عبد الله حجي، هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، د ط، السلسلة الأندلسية، د ب ن، د س ط، ص، 77.

42 الحجري أحمد بن قاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين، تح: رزوق محمد، ط:1، كلية الآداب والعلوم الانسانية، دار البيضاء، 1407هـ/1987م.

43 لم يجادل الحجري النصارى فقط، بل فعل كذلك مع اليهود؛ ودارت معظمها على اتهامهم بالكبر وتحريف العهد القديم. والجدير بالإشارة، أنه لم يهتم بهذا الأمر كثيرا. ولا غرو في ذلك، فبالنظر إلى كونه من علماء المسلمين الذين عاشوا تحت قمع واضطهاد السلطات الكنسية والسياسية في اسبانيا، فلقد كان عليه أن يصرف جهده إلى مجادلة النصارى بوصفهم خصومه الثقافيين الأساسيين.

44 عندما تم هدم برج توربين - وهو مئذنة قديمة لجامع عام 1850م لتوسيع الكاتدرائية، عثر على صندوق مصنوع من الرصاص يضم كتابات منقوشة "تتنبأ بالمستقبل" وهي مكتوبة بالإسبانية والعربية، وتتحدث عن نهاية العالم. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: الحجري أحمد

فإذا علمنا بأن المسلمين في مساجلتهم للنصرانية اتخذوا من نصوص هذا الدين وأصوله، موضوعا مفضلا بامتياز، بحيث يعيبون على النصارى تحريفهم لهذه النصوص، وحذفهم منها ما كانت تتضمنه من بشارات بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم. وإذا علمنا بأن الكتب الرصاصية تزعم فيما تزعمه، بأنها نصوصا أخرى من النصوص المقدسة للنصرانية التي سلمت من هذا الحذف وذاك التحريف، أمكن أن نقول، بأن الحجري قد قصد في افتتاح كتابه[45] واختتامه بها[46]، إقامة الحجة على خصومه من النصارى بنصوصهم، ليستدل تبعا لذلك، على فساد ما هم عليه من معتقدات في التثليث وإنكار نبوة خاتم المرسلين، في مقابل صحة ما عليه المسلمون من معتقدات في التوحيد والتنزيه، والإيمان بهذه النبوة.

ويتبين مما تركه هذا العالم من كتابات، بأنه قد اهتم بتوزيع نشاطه العلمي ما بين الترجمة والتأليف. فقد ساهم في ترجمة الرق الذي وجده النصارى. كما شارك في ترجمة بعض القطع من الكتب الرصاصية. ومن المعروف أن كلا من ذاك الرق وهذه الكتب التي نحتت على أوراق من رصاص بحروف اللغة العربية القديمة، قد شكلت قلقا للنصرانية بإسبانيا في مطلع القرن 11هـ/ 17م، وأقحمتها في إشكالات تتعلق بما يكون قد اضطلع عليه العرب من أدوار في تواريخها وأصولها القديمة.

فما يمكننا ملاحظته ونحن نتفحص صفحات هذا الإنتاج العلمي أن الهدف الأساسي من انجازه له يكمن في الدفاع على الإسلام، فهذه الدراسة تشكل في الوقت نفسه النواة الصلبة للأطروحة المركزية التي تنتظم جملة أبواب هذا الكتاب وتمحوره حولها. فقد وفق الحجري إلى حد بعيد في أن يجعلنا نسافر معه ونرحل من الأندلس إلى مراكش، ومنها إلى فرنسا، ثم إلى هولندا، لينقلنا بعد ذلك إلى مصر، ثم إلى تونس؛ كما جعلنا نعيش معه مختلف تجاربه التي عاشها في هذه المناطق، وملاحظاته وتقويماته لمختلف مناحي الحياة بها. غير أن كل ذلك لم يكن بالنسبة إليه إلا تعلة لكي يحملنا معه إلى عالم مجادلاته للنصارى وللنصرانية، التي انتشرت في أغلب أبواب كتابه، ولكي يعرج بنا كذلك إلى مجال مساجلته لليهود واليهودية، التي نقف عليها في الباب العاشر من الكتاب نفسه.

فمن بين مجادلاته مع النصارى نذكر هذا النص الذي ورد فيه ما هو آت:"...كتبت أن في أعلا الكتاب توحيد الله تعالى الذي هو ضد الشرك، وكتبت

بن قاسم، المصدر السابق.

45 - الحجري أحمد بن قاسم، المصدر السابق، ص ص، 23- 35.

46المصدر نفسه، ص ص، 142- 151.

بالأعجمية: بسم الله الواحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، وبعد أن قرأ الجواب كتب لي ثانية، وذكر فيها كلاما عن الذات الكريمة، والصفات، والأفعال، موافقا لتوحيد المسلمين. ثم قال الله تبارك وتعالى: خلق آدم على هيئته، أو على مثاله. وهذا القول هو ابتداء شركهم، لان مرادهم بالتشبيه أن سيدنا عيسى – عليه السلام- له أصل في ذلك الخلقة الالوهية، التي يقولون فيه – لعنهم الله وأخزاهم- ثم كتبت له جواب على الكفر الذي ذكر في كتابه وقلت له: الله تعالى منزه عن الشبيه، والمثال..."[47]

ثم يضيف في موقع آخر من مؤلفه " ...واعلم أن النصارى فتشوا برهان التثليت في الألوهية، ولا وجدوه، لان الباطل كان زهوقا. وقالوا: ليس لنا الايمان بذلك، ويحصل به الأجر، وهي قاعدة في دينهم أن يومنوا بما في الكنيسة الكبرى التي برومة. وهي عامرة بالاصنام والصلبان. وهي الباب الكبير للدخول في النيران، يقودهم إليها وليهم الشيطان، لعنهم الله تعالى[48] بقوله في القرءان:" ألا لعنة الله على الكاذبين"[49]

من خلال ما ورد في هذه النصوص التاريخية حول مجادلة أحد مسلمي اسبانيا للنصارى الكاثوليك نستنتج ما يلي:

- ✓ إذا وقفنا عند البناء اللغوي للنص فنلاحظ أن لغة الفقيه لم تكن بالجيدة، بالرغم من أنه عرف بفقهه وعلمه ومجادلاته للنصارى واليهود على حد سواء، السبب في وذلك وكما هو معلوم عند كل دار س للمحنة الأندلسية بعد السقوط أن السلطات الاسبانية أصدرت المراسيم الملكية[50] التي منعت بموجبها تداول اللغة العربية[51] أو التعامل بها[52]، كما عمدت إلى احراق كل الثرات العربي الإسلامي[53] إلا

47 الحجري أحمد بن قاسم، المصدر نفسه، ص، 116.

48المصدر نفسه، ص:124.

49 الصحيح من الآية الكريمة قوله عز وجل في محكم تنزيله:" **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**" الآية 61 من سورة آل عمران

50 أدركت السلطات الاسبانية خطورة مفعول اللغة. للاطلاع على تفاصيل أكثر ينظر:

Boronat y BarrachinaPascual, Op.Cit, P : 652.

51 طارق محمد خضر، علاقات الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة، بحث نشر ضمن أعمال السجل العلمي لندوة الموسومة بـ: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، قس:2، (الموريسكيون، الكتابات، الاستشراقية، الجغرافية والرحالات)- مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط:1، رياض، د د ن، 1417هـ/1996م، ص، 32.

52بادرت السلطات الاسبانية بزعامة الملكين الكاثوليكيين سنة 1495م، إلى تحريم التخاطب باللغة العربية باعتبارها المانع الوحيد لإتباع الدين النصراني كما اقتنعت الكنيسة الكاثوليكية أن تداول اللغة

جزء قليل منه احتفظت به وهو كل ما كان له صلة بالعلوم العقلية كالطب والرياضيات وعلم الفلك.

- ✓ يتضح من خلال ما ورد في هذا النص أن المؤلف قد أخذ موقفا مسبقا بإبطال عقيدة النصارى الذي كان المرجعية الأولى لها هو الإنجيل المزعوم الذي كتبه مجموعة من المدعين على الله.
- ✓ يتبين مما ورد في هذه المجادلة أن الفقيه الحجري كان يكن كل الكراهية والحقد للنصارى بقوله في أكثر من موقع:" لعنهم الله وأخزاهم"، ولعل موقفه هذا ناتج على ما لقيه المسلمون في شتى أقطار العالم عموما وفي الأندلس الشهيدة على وجه الخصوص على يد النصارى الكاثوليك من اضطهاد وعنف واستبداد.
- ✓ نستشف من كلام الفقيه أنه كان واثقا من نفسه، ومن قدراته العلمية والفقهية، ومرجعيته في ذلك عقيدته وتوحيده لله سبحانه وتعالى.
- ✓ يرى الفقيه الحجري أن عقيدة النصارى باطلة بوصفه بأنهم كفار ومشركين.

2-3)- الجدل الديني في الثرات الفكري الألخميادي: يمكننا اعتبار الأدب الألخميادو[54] في حد ذاته مجادلة ضد النصارى، فالأدب الألخميادو[55] في التقسيم المقترح

العربية في اسبانيا يشكل خطرا كبيرا على النصرانية. المنهج نفسه سار عليه كل من خلف الملكين الكاثوليكيين؛ فهذا الإمبراطور كارلوس الخامس يشكل لجنة من ثلاثة عشر كنيسيا وعلمانيا، كلفوا بمتابعة ملف مسلمي اسبانيا؛ وبعد اطلاعه على نتائج أعمال اللجنة أصدر مرسوما سنة1526م يقضي منع استعمال اللغة العربية كلاما وكتابة. ينظر: حايك سيمون، ثورة ابن أمية، أو ثورة الموريسكيين، د ط، د. د. ن، د ب ن، 1996، ص، 30.

53 أقدمت السلطات الاسبانية على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامة دون وعي منها لقيمتها المعنوية أو الجمالية، وكذلك فعلت محاكم التفتيش بمقاطعة أراغون التي أقدمت على حرق آلاف من المصاحف ومختلف الكتب . ولقد تضاربت الروايات التاريخية حول العدد النهائي للإرث العلمي والديني والأدبي الذي أحرق، فهناك من ذهب إلى أن عددهم تراوح ما بين مليونين كتاب، فيما ذهب فريق آخر أن تعدادهم بلغ حوالي خمسة ملايين كتاب، فيما رفع الرقم فريق آخر إلى سبعة ملايين مؤلف. ينظر:Don Francisco Javier Simomet, El cardénal Ximenex de

Cisneros, y Los manuscritos abàbigo Granadinos, Imprenta de la lealtad à ocargo de J. G. Garrido, Grannada, 1885. PP, 6,8..

54 **الألخميادو نسبة إلى اللغة الألخميادية**: اضطر مسلمو اسبانيا إلى ابتكار هذه اللغة للتعبير على أفكارهم ومشاعرهم والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم، إذ وجدوا في هذه اللغة المشتقة من القشتالية - المفروضة عليهم - والعربية - المكرهين على تركها - سبيلا للتعبير عن كل ذلك، حيث اختلطت فيها ألفاظ عربية وأعجمية مختلفة من اللهجات القديمة والمعاصرة لهم لاسيما الرومانية أو اللغة اللاتينية"Latin". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: دي فوانتا

سابقا يكمن في الدفاع عن الإسلام أمام النصرانية الكاثوليكية. فقد قدمت تلك الكتابات التي أنتجتها النخبة المسلمة المثقفة في اسبانيا النصرانية معطيات جد مهمة حول حقيقة ومواضيع الجدل الديني الذي دار بين المسلمين والنصارى حول حقيقة العقيدتين.

ولعل الرسول الـذي حـظي باهتمام كبير في الكتابات الألخميادية التي اهتمت بموضوع الجدل الديني مع النصارى، هو نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام. ولا عجب في ذلك، فلقد احتاج مسلمو اسبانيا إلى هذه القصص لكي ينافحوا بها عن تصوراتهم الإسلامية لعيسى عليه السلام، في مقابل التصورات التي كان يحملهم عليها النصارى لهذا الرسول عليه صلوات ربي وسلامه، التي لم تكن لتحترم، في رأيهم، لا وحدانية الله ولا تنزيهه. ومن أهم المواضيع التي أخذت حيزا مهما في الجدل الديني بين مسلمي اسبانيا والنصارى الكاثوليك حول نبي الله عيسى عليه السلام، قصة ولادته وما رافقها من أحداث وأحاط بها من وقائع غريبة ومعجزات باهرة. وقد اعتمدوا في إعداد هذه القصة على ما جاء عن موضوعها في القرآن الكريم، وفي أناجيل أخرى غير معتمدة بين النصارى، الذين يرون بأنها من تلفيق مسلمي اسبانيا ودسهم عليهم.

أيضا ناقشوا ضمن جدلهم هذا رفضهم القطعي والجازم حول كل ما يخص

المعتقد النصراني في موت المسيح عليه السلام على الصليب ودفعه ودحضه. وفيها يتضح بأن مسلمي اسبانيا قد توسلوا بالقصص إلى جانب أدبياتهم الجدلية، ليدافعوا عن الطرح الإسلامي، المعبر عنه في القرآن الكريم، لهذه المسألة الخلافية بينهم وبين النصارى. فقد نجح مسلمو اسبانيا إلى حد كبير في ذلك، بإعدادهم لحكاية تتضمن مشاهد تعذيب شخص آخر وصلبه، بدل السيد المسيح عليه السلام. ولم يلتفوا على معانيها، إلا عندما كانت تتعلق بما لم يكن ليستطيعوا الإبقاء عليه، مما جاء فيها عن الفرق الأساس والجوهري بينهم وبين النصارى في معتقداتهم الثابتة في المسيح عليه السلام وفي توحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه.

سالفارو قلماس، ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو - الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي، بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية - الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه المورسكيين، ط:1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2009م، ص، 51.

55 للاطلاع على نموذج من هذه الكتابات ينزر الملحق رقم:1.

ففي المنظور الفكري والعقدي لمسلمي اسبانيا أن سيدنا عيسى عليه السلام جاء برسالة سماوية مكملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها واجهت مقاومة واضطهادا شديدا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرا عن أصولها الأولى. ويتحاشى النصارى تفسير ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بالولادة البشرية التي تحدث نتيجة الاقتران بين الزوجين، كما أنهم يفرقون بين هذه البنوة وما ورد في أسفار[56] العهد القديم والجديد من وصف المؤمنين أنهم أبناء الله، وهم لم يستطيعو ا —ولن يستطيعو ا —أن يقدموا لنا تفسيرا منطقيا ومقنعا لهذه الولادة، وغاية ما عندهم في هذا الشأن أنهم يذكرون بعض الأوصاف والمقتضيات لهذه البنوة المزعومة، فيصفون هذه البنوة بالأزلية، والأصلية، إذ هو الشخص الوحيد الذي حاز رضى الله، وأنه عليه السلام، محبة سرية قائمة، وأن المسيح في وحدة كاملة مع الله -تعالى- ، ومن أقوالهم في تقرير هذا الشأن:

يعتقد النصارى بأن المسيح عليه السلام مولود من الله عز وجل، فقد شكلت طبيعة سيدنا عيسى عليه السلام مادة للجدل بين المسلمين والنصارى الاسبان. فمن بين النماذج التي سلطت الضوء على الموضوع ذلك المخطوط الذي كتبه أحد مسلمي اسبانيا عن الأنبياء بشكل عام، فيشير إلى أن كل نبي أيده الله بمعجزات.

يقول صاحب المخطوط[57] في الورقة رقم: 13[58] من المؤلف[59] حول الجدل الواقع بين المسلمين والنصارى حول قضية "ألوهية" سيدنا عيسى عليه السلام:"**...ولا يمكن**

---

56 **السفر:** قيل هو الكتاب الكبير ، وقيل هو جزء من التوراة والجمع أسفار والسفرة الكتبة. ينظر: ابن منظور ، المصدر السابق، ص 2026. وقد ذهب المفسرون الكاثوليك حتى آخر القرن 19م إلى أن سفر دانيال من تأليفه وقد كتبه في بابل وحمله عزرا مع الأسفار الأخرى عند عودته إلى أورشليم، كما أجمع المؤرخون ورجال الدين على أن هذا السفر يؤرخ للفترة الممتدة ما بين عامي (168-160ق.م). ينظر: محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل (التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام)، ج: 1، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999م، ص ص، 74، 75.

57 ذكر المؤلف بأنه لا يعرف اسم صاحب المخطوط، وقد اصطلح المتخصصون على تسمية صاحب المخطوط بـ"لاجئ تونس"

58 المخطوط تحت رقم: 9653 موجود بالمكتبة الوطنية بمدريد؛ وهو عبارة عن شرح لكتاب في التفسير. لا يعرف تاريخا محددا لكتابة المخطوط، ولكن استنادا لبعض المعطيات الموجودة في المخطوط فيرجح أن تاريخ تأليف يعود إلى سنة 1609م تقريبا.

59 عبد الرحمان جمال، ثقافة موريسكي: قراءة في المخطوطة بمكتبة اسبانيا الوطنية، مجموع مقالات في كتاب الموسوم بـ: دراسات أندلسية وموريسكية، (المرجع السابق). ص، 107.

للأنبياء أن يكونوا آلهة، وقد نسب بعض ضعاف الفهم إلى الأنبياء صفة الألوهية، وهذا ما فعله المسيحيون التعساء، فقد رأوا أن سيدنا عيسى قد وضعته السيدة مريم... وأن الله أجرى على يديه معجزات كثيرة فعميت أبصارهم وقالوا إنه إله، وفاتهم أن خلق أدام من حفنة من تراب وخلق حواء من ضلع آدام أشد إعجازا من خلق طفل في رحم امرأة فهذا شيء عادي. هكذا يكون أكثر منطقية أن يكون آدام وحواء آلهة. ولو كانت المعجزات تجعل من أجريت على أيديهم آلهة فليس هناك فرق بين نبي وآخر. إن كل ذلك عمى وتعاسة، فعيسى ومريم بشر خلقاهما الله كالآخرين..."

نستنتج من خلال المعطيات الواردة في نص المخطوط مجموعة من النقاط:

- ✓ استناد صاحب المخطوط لأدلة مقنعة، لا يمكن لعقل سليم تجاهلها أو على الأقل الوقوف عندها، أهمها قضية خلق سيدنا أدام وأمنا حواء عليهما السلام. فكما ذكر صاحب المخطوط أن الطريقة التي وجدا بها في هذا الكون أعظم بكثير من طريقة وجود سيدنا عيسى عليه السلام، وبالتالي كان الأولى القول بـ "ألوهية" سيدنا أدام عليه السلام.
- ✓ بناء على الملاحظة المذكورة أعلاه تبين لنا أن المؤلف استند إلى العقل دون الرجوع إلى النص القرآني، ذلك أن النصارى لا يؤمنون به ولا يقرونه، لهذا نجد صاحب المخطوط يجادل النصارى من خلال المنطق والعقل.
- ✓ خرج المؤلف باستنتاج نهائي مفاده أن عيسى عليه السلام نبيا مثله مثل بقية الأنبياء ولهذا أجرى الله على يديه بعض المعجزات.
- ✓ إن المعجزات التي خص بها الله نبيه عيسى عليه السلام لا يمكن بشكل من الأشكال أن ترفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى درجة تتجاوز طبيعته كبشر ورسول.
- ✓ كما نستقرأ من خلال كلامه أنه ليس بمقدور أي إنسان حتى ولو كان نبيا أن يقوم بمعجزة من تلقاء نفسه، فالمعجزة لا يستطيع أن يقوم بها إلا الله سبحانه تعالى.

3-3)- الجدل الديني من خلال الانتاج الشعري: مما لا شك فيه أن الشعر العربي الذي كان وعاء للمشاعر العربية الأندلسية والأحداث التاريخية المهمة، استمر كذلك في هذه المهمة الحساسة بعد سقوط الأندلس بسقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام هناك، وحاول أن ينقل لنا بشيء من الإخلاص مشاعر مسلمي اسبانيا، وما عانوه من اضطهاد وتنكيل وتعذيب، وأن يؤرخ لنا بعض الوقائع والأحداث المهمة؛ وإذا كان علينا أن ننظر بشيء من الحذر إلى النصوص الشعرية بشكل عام بوصفها وثائق، فإن علينا

كذلك، أن نستشف ما يصدق مما تنقله هذه النصوص وتحتويه من معلومات من شأنها أن تدعم الحقائق التاريخية وتقويها.

فقد أنتجت المجابهة الجدلية بين المسلمين والكاثوليك في إسبانيا خلال القرنيين 10-11هـ/16-17م مجموعة كبيرة من القصائد الجدلية التي تحمل في بعض الأحيان اسم مؤلفها، بينما في أحيان كثيرة تبقى مجهولة المؤلف. ومن بين القصائد التي دار موضوعها حول قضية جدلية نذكر هذه الأبيات[60]:

يا من تجعلون لله ابنا
وتخصصون له
مئات التماثيل
من الذهاب والرخام والبرونز والخشب
وتقدمون له القرابين الزائفة

أيضا مما نظم بهذا الصدد قصيدة ألفها شاعر مجهول، يحاول من خلالها الدفاع

على عقيدة التوحيد، فورد في بعض أبياتها ما نصه[61]:

والدليل على وجود
رب الله بالضرورة
هي المخلوقات نفسها، وإننا نجد
اللون والزمن والموت
كما نرى الناس يحيون
وحيث اننا نرى في عالم المخلوقات
انه لا فعل بدون فاعل
فمن هذا نفهم بوضوح
ان هذا الكيان الذي نراه
له من غير شك صانع

60ميغيل دي سرفانتس، إيبارا بونيس أنجيل ميغيل، الموريسكيون في الفكر التاريخي، د ط، تر: وسام محمد جزر، مرازق جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص، 14

61 اجنثالث بالنثيا آنجل، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، د ط، طبعة مصر، 1955م. ص، 519.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية حول حركية الجدل الديني في اسبانيا ومدى اسهامات العنصر المسلم في تفعيلها يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- ✓ شكل الجدل الديني بين الإسلام والنصرانية سمة من سمات الحوار الحضاري الذي عرفته الأندلس، وهو حوار أنتجته العقلية الأندلسية المتفتحة، فأدى إلى لقاء الثقافات المختلفة على صعيد واحد، كما أدي إلى تلاقح العقول؛ فقد أثبتت التجربة الأندلسية أنه إذا ما توفرت الأجواء الصحيحة والتسامح فإن الدين لا يشكل عقبه أمام الحوار الحضاري، وإن الدين لا يصبح كما يقول البعض من أنه كان سببا من أسباب الصدام الحضاري، إذا ما ابتعد عن التعصب والتحزب.
- ✓ اتضح من التجربة الأندلسية، أن الجدل الديني كان قائما على قبول الرأي والرأي الأخر، وعلى فتح باب الخيار أمام المتجادلين وغيرهم، وعدم إجبارهم على قبول مالا يرضون، أو التقليل من شأنهم، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى أن المتجادلين والمحاورين من أتباع النصرانية قد تعرضوا للضرب أو السجن، ناهيك عن القتل. وهذا هو الجدل الديني المطلوب. الذي يؤدي إلى حوار حضاري، وهو الحوار الذي شهدته الأندلس القائم بين الحضارة الإسلامية وحضارة أهل الكتاب.
- ✓ لقد أصبحت حركة الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس نبراسا يقتفى أثره علماء ما بعد القرن 6هـ /12م، ولكن بعد سقوط الأندلس اختلفت الأمور واتخذ أشكالا كثيرة، حتى أن المحاورات والمجادلات الدينية بالأسلوب الأندلسي قد انتقلت إلى البر المغربي، حيث يقوم أحد الفارين من الأندلس إلى المغرب أبو العباس أحمد بن القاسم بن أحمد بن الفقية قاسم بن الشيخ الحجري الذي فر من الأندلس عام 1007هـ/ 1598م بتسجيل مجادلاته مع علماء النصرانية في عقر دارهم فرنسا وهولندا. ودون ملخص لمجادلاته هذه في كتاب أسماه: " ناصر الدين على القوم الكافرين"
- ✓ يتضح من خلال استعراض أدبيات الجدل الديني الإسلامي في الأندلس بعد السقوط أن كتابات ومناظرات العلماء المسلمين الجدلية غلب عليها أمران:

أما الأمر الأول فيتمثل في الدفاع عن الدين الإسلامي عقدية وشريعة ونبوة دفاع علمي دقيق، وبأسلوب هادئ ضد حجج المجادلين من أهل الكتاب.

في حين يتلخص الأمر الثاني في المحاولات الناجحة لنقص العقيدة الدينية النصرانية، وكانت المحاورات تتم في الغالب بصورة كتابية، وبمعنى تأليف المسائل والردود.

✓ أهم القضايا التي استأثرت باهتمام الأطراف المتحاورة هي ما يلي: دحض حجج أهل الكتاب المتعلقة بمذاهبهم المتعددة، ومن ثم البرهنة على بطلانها. وبيان فساد مذهب النصارى المتعلقة في القول بفكرة الاتحاد والحلول. والبرهنة النقلية والعقلية من كون الإنجيل محرف لا يشبه ما أنزل على النبيين موسى وعيسى عليهما السلام.

✓ من خلال حركة الجدل الديني في اسبانيا خلصوا إلي إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، والمقارنة الشرعية والنقلية والعقلية بين العديد من الشعائر الإسلامية وما يقابلها في النصرانية، والخلوص إلى أن الشعائر في الديانة النصرانية قد دخلها كثير من الزيادة والنقصان، وأصبحت لا تتفق مع الشرع الإلهي والعقل الإنساني، ولهذا تبقى الشعائر الإسلامية هي الصحيحة.

✓ ترك مسلمو اسبانيا تراثا ثقافيا مهما، عمد مؤلفوه إلى تسجيله بلغة خاصة تعد من ابتكارهم، ولعل اختيار الحرف العربي كمظهر خارجي للتبليغ من طرف هؤلاء المضطهدين، يبقى الرداء الإسلامي أو القناع الواقي، وهو ما شكل علامة على مدى التلاقي الجدلي بين الحرف العربي والبعد الروحي عند الإنسان المضطهد. ولعل أيضا تفشي ظاهرة الاقتراض الذي عرفته اللغة العربية وخاصة حين يتعلق الأمر بالشعائر الدينية ليعد ظاهرة ملفتة للانتباه داخل هذا التراث المتبقي والمسجل بعزيمة المقاومة.

✓ إن هذا الإنتاج الفريد من نوعه إن صح التعبير الذي كتبه المسلمون بالحروف العربية هو معلم وأثر باق على ذلك الجهد المثير الذي حاولوا من خلاله مسلمو اسبانيا إنقاذ المعرفة بالدين الإسلامي وثقافته - أو ما تبقى من هذه المعرفة - التي تقلصت بحكم متابعات واضطهاد رجال ا

✓ لدين والسياسة في إسبانيا.

الملاحق

ملحق رقم:1

مخطوط بلغة الألخميادية عثر عليه سنة 1988 داخل جدار منزل في بلدية نوفاياس (بالإسبانية Novallas) :وهي بلدية تقع في مقاطعة سرقسطة التابعة لمنطقة أراغون شمال شرق إسباني

قائمة المصادر والمراجع

1-اجنثالث بالنثيا آنجل، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، د ط، طبعة مصر، 1955م.

2- بدرو لونغاس، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، تع: عبد الرحمان جمال، د ط، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق، زغوان، 1992م.

3-براتشينا دون باسكوال بورونا، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ، ج: 1، تر: كنزة الغالي، ط: 1، مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، د ب ن، 1433هـ/2012م.
4-حايك سيمون، ثورة ابن أمية، أو ثورة الموريسكيين، د ط، د. د. ن، د ب ن، 1996م.
5-الحجري أحمد بن قاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين، تح: رزوق محمد، ط:1، كلية الآداب والعلوم الانسانية، دار البيضاء، 1407هـ/1987م.
6-الحجي عبد الرحمان، محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها، ط:1، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1987م.
7-الدلائي احمد بن عمر بن انس العذري، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهوائي، د ط، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د س ط.
8-دي فوانتا سالفارو قلماس، ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو - الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي، بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية - الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه المورسكيين، ط:1، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2009م.
9-الزويعي محمود محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ / 1516م)، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن.
10-سالم عبد العزيز، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، د ط، د د ن، بيروت، 1962م.
11-سعد السحمراني، الإسلام والآخر، ط:1، دار النفائس، بيروت، 1426هـ/ 2005م.
12-طارق محمد خضر، علاقات الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة، بحث نشر ضمن أعمال السجل العلمي لندوة الموسومة بـ: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، قس:2، (الموريسكيون، الكتابات، الاستشراقية، الجغرافية والرحالات)- مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط:1، رياض، د د ن، 1417هـ/1996م،
13-عادل سعيد البشتاوي، الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)، د ط- مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة، 1403هـ/1983م.
14-عبد الله بن إدريس أبو عبد الله محمد الحمودي الإدريسي، القارة الإفريقية مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح: اسماعيل العربي، د ط، الديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م. ابن
15-عبد الله حجي، هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، د ط، السلسلة الأندلسية، د ب ن، د س ط
16-عبد الواحد دنون طه، أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس نموذج تطبيقي عن كتاب العبر، بحث نشر ضمن أعمال الندوة الدولية الموسومة بـ: حضارة الأندلس في الزمن والمكان، د ط، د د ن، الرباط، 1992م.
17-أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني، قضاة قرطبة، د ط، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.

18-فيرناندو دى لاغرانجا، معجزات اسبانية في مؤلف جدلي إسلامي، بحث نشر في مؤلف جماعي موسوم بـ: دراسات أندلسية وموريسكية، تر وتق: جمال عبد الرحمن، ط:1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م.
19-ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مج:2، د ط، منشورات محمد بن علي بيضون، بيروت، 1421هـ/2000م.
20-لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج:1، تح: محمد عبد الله عنان، د ط، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1393هـ/1973م.
21- محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل (التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام)، ج: 1، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999م.
22- محمد رواس قلعه، الموسوعة الفقهية الميسرة، م:1، ط:1، دار النفائس، بيروت، 1421هـ/ 2000م.
24-محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية، ط:2، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، د ب ن، 1311هـ/1921م
25-محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط : 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
26-محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، ط : 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م.
27-مرثيدس غارثيا أرينال، محاكم التفتيش والموريسكيون، تر: خالد عباس، تق: جمال عبد الرحمان، د ط، المجلس الأعلى الثقافي، د ب ن، 2004م.
28-المقري بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.
29-منير محمود بدوى، مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، مركز دراسات المستقبل، مصر، جامعة أسيوط، ع:3، 1997م.
30-مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، مخطوط رقم: 1528-
31-ميغيل دي سرفانتس، ا إيبارا بونيس أنجيل ميغيل، الموريسكيون في الفكر التاريخي، د ط، تر: وسام محمد جزر، مرازق جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
32- Bronat y Barrachina, Los moriscos Espagnoles y su expulsion, Valenci, 1901.
33Don Francisco Javier Simomet, El cardénal Ximenex de Cisneros, y Los manuscritos abàbigo Granadinos, Imprenta de la lealtad à ocargo de J. G. Garrido, Grannada, 1885
34-Henri Lapeyre- géographie de l'Espagne morisque, S.E.V.P.E.N, Paris, 1959
35-Louis Cardaillac, L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne-1474_1497,Edition Aurement, collection Memoires
36-Marmol Carvajal, Historia Rebellon y Castigo de los moriscos, Del rieno de de Crenada, Madrid
37-Rodrigo De Zayas, Les moresques et le racisme d'état et la difference, Paris, 1992